

أمرُ إلهي كريمٌ، وتوجيهُ رباني عظيمٌ، أكثرُ النَّاسِ فيه مفرطٌ وله مضيّعٌ، ألا وهو قول الله - تبارك وتعالى - في أواخر سورة طه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (١٣٢)، وهذا أمرٌ من الله - جلَّ في علاه - لنبيه ومصطفاه محمد بن عبد الله - صلوات الله وسلامه عليه - ، وما أمر الله - جلَّ وعلا - به نبيه ﷺ فهو أمرٌ لأُمَّته ما لم يقدّم دليلٌ على تخصيص ذلك ، ولا مخصص لهذا باتِّفاق أهل العلم ؛ فوجب على كلِّ أبٍ وكلِّ وليٍّ أمرٌ أن يُعنى بأبنائه عنايةً عظيمةً، وأن يتابعهم متابعةً دقيقةً في شأن الصلاة التي هي أعظمُ أركانِ الإسلام بعد الشهادتين، بعد أن يكون هو في نفسه محافظاً عليها معتنياً بها صابراً مصطبراً على إقامتها؛ فيكون في نفسه قدوةً لأبنائه ثم يكون متابِعاً لهم حثّاً وحضّاً على أداء هذه الصلاة والمحافظة عليها كما أمر الله - جلَّ وعلا - بذلك.

وهذه الآية الكريمة دلّت على مقامين عظيمين لا بدّ من تحقيقهما:

الأوّل: عناية المرء نفسه بالمحافظة على الصلاة والاصطبار على أدائها؛ وذلك أن ثمة في هذه الحياة من الشواغل والصّوارف والصّوادم ما يشغل كثيراً من النَّاسِ عن أداء هذه الصلاة والمحافظة عليها في أوقاتها؛ فذاك يشغله عن صلاته نومٌ، وآخر يشغله عنها كسلٌ، وثالثٌ يشغله عنها لهوٌ ونحو ذلك، والشواغل كثيرةٌ، والمقام مقامٌ يحتاج إلى اصطبارٍ ودأبٍ ومتابعةٍ حتّى يكون من أهل الصلاة والمحافظين عليها، وهو مقام لا يقدر كلُّ أحد أن يثبت عليه للحاجة

فيه إلى المداومة والاستمرار بلا كلٍّ أو ملل، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ - عند شرحه لحديث: «أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ» - : «إِلَّا أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْمَحَافِظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَأَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا وَالْمَحَافِظَةِ عَلَى بَرِّ الْوَالِدَيْنِ أَمْرٌ لَا زَمَّ مُتَكَرِّرٌ دَائِمٌ لَا يَصْبِرُ عَلَى مُرَاقَبَةِ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ إِلَّا الصَّادِقُونَ» (١).

الثاني: العناية بمن تحته من أهلٍ وولِدٍ بتأديبهم على المحافظة على هذه الصلاة والعناية بها، ومتابعتهم في هذا الأمر العظيم. وفي معنى هذه الآية الكريمة ما رواه أبو داود في «سننه» من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاصْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» (٢)، وهي متابعة متأكدة في سنٍّ مبكرة، ورعاية للأولاد في وقتٍ مبكرٍ من حياتهم؛ فمنذ السنّة السابعة يؤمر بالصلاة ويحثُّ عليها ويرعَّب في أدائها، وإذا بلغ العاشرة إن فرط في هذه الصلاة أو أهمل أو ضيع فإنّه يُضرب عليها ضربٌ تأديبٍ، وليس ضربٌ إتلافٍ.

إنّ مقام الصلاة مقامٌ عظيمٌ، وإذا نظر الناظر وتأمل المتأمل في واقع بيوتات كثيرٍ من النَّاسِ يجد أنّ التفريط في الغالب جاء من قِبَلِ الآباء؛ فكان الأب في نفسه مضيّعاً مفرطاً، فلم يكن قدوةً لأبنائه في المحافظة على هذه الصلاة؛ فينشأ من تحته من أولادٍ مفرطين ومضيّعين؛ فإنّ الأبناء ينشؤون على ما نشأهم عليه الآباء.

(١) «فتح الباري» (١١/٢).

(٢) رواه أحمد (٦٧٥٦)، وأبو داود (٤٩٥)، والحاكم (٢١١/١)، وصحّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٦٨).

وما جنى أبٌ على أولاده بمثل إهمالهم في شأن الصلاة، فالجناية عليهم في هذا الباب جناية عظيمة، وتأمل كلاماً للإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ يخصُّ الآباء في مثل هذا المقام العظيم، يقول رَحِمَهُ اللهُ: «فَمَنْ أَهْمَلَ تَعْلِيمَ وَلَدِهِ مَا يَنْفَعُهُ وَتَرَكَهُ سَدَى؛ فَقَدْ أَسَاءَ إِلَيْهِ غَايَةَ الْإِسَاءَةِ، وَأَكْثَرُ الْأَوْلَادِ إِنَّمَا جَاءَ فَسَادُهُمْ مِنْ قِبَلِ الْآبَاءِ وَإِهْمَالِهِمْ لَهُمْ، وَتَرَكَ تَعْلِيمَهُمْ فَرَائِضَ الدِّينِ وَسُنَنِهِ؛ فَأَضَاعُوهُمْ صَغَارًا فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِأَنْفُسِهِمْ، وَلَمْ يَنْفَعُوا آبَاءَهُمْ كِبَارًا» (٣).

إنّه مقامٌ جدٌ خطيرٌ يتطلّب من الأب أن يكون أوّلاً ناصحاً لنفسه، ثمّ ناصحاً لمن تحته من أهلٍ وأولادٍ؛ تأديباً على هذه الصلاة ودعوة لهم بالمحافظة عليها والعناية بها.

ويا أيّها الابن الموفق! إذا أكرمك الله - جلَّ وعلا - بأبٍ يعتني بك في هذه الصلاة حثّاً وحضّاً وترغيباً؛ فإياك ثمّ إياك أن تنزعج من والدك، أو أن تتزعج من متابعتك لك؛ فإنّه - والله - يعمل على إنفاذك من سخط الله، ويعمل على إيصالك إلى مرضاة الله - تبارك وتعالى -، فإنّ الله - جلَّ وعلا - لا يرضى عنك إلا إذا كنت من أهل هذه الصلاة محافظةً عليها وأداءً لها.

وتأمل في هذا المقام ثناء الله العاطر على نبيه إسماعيل - عليه الصلاة والسلام -، قال - جلَّ وعلا - : ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (٥٥) **سُورَةُ هُودٍ**؛ كان مرضياً عند الله؛ لأنّه بذل الأسباب التي يُنال بها رضا الله - جلَّ وعلا -، وأعظم ذلك العناية بالصلاة حفظاً لها ومحافظةً عليها، وتأديباً للأهل وتربيةً لهم على المحافظة عليها.

(٣) «تحفة المودود» (ص ٢٢٩ ط. الأرنؤوط).

اشترك الآن في مجلة

الإصلاح



بـ 900 دج فقط
لمدة سنة

تصلك إلى بيتك

دار الفضيحة
للنشر والتوزيع

حي باحة (30)، رقم (28) الليدو-المحمدية- الجزائر
الهاتف و الفاكس: 51 94 63 (021)
التوزيع (جوال): 08 62 53 (0661)

سلسلة بطون تاريخ الفضة 19



إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

وأمره أهلك بالصلاة

دار الفضيحة
للنشر والتوزيع

وروى الإمام مالك في «موطئه»^(٤) عن زيد بن أسلم عن أبيه: أنَّ
عمر بن الخطاب كان يُصلي من الليل ما شاء الله، حتى إذا كان
من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة يقول لهم: «الصلاة الصلاة»،
ثم يتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ
رِزْقًا تَحْنُ نَزِقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾^(١٣٢).

فتأمل حال السلف الصالح - رحمهم الله تعالى ورضي عنهم - مع
هذا التوجيه الرباني العظيم، ثم تأمل واقع وحال كثير من الناس
في تفریطهم وإضاعتهم وعدم تأديتهم لهذا الواجب العظيم!!
فما أحوجنا في هذا المقام العظيم أن نكون في أنفسنا محافظين
على الصلاة، ومتابعين لأولادنا في أدائها، وما أحوجنا إلى صدق
الالتجاء إلى الله بأن يجعلنا وأولادنا من أهل الصلاة والمحافظة
عليها، ومن أعظم الدعاء في هذا المقام دعاء إبراهيم الخليل
- عليه الصلاة والسلام -: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾^(٤٠) ﴿سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: ٤٠﴾.
نسأل الله - جل في علاه - أن يوفقنا أجمعين للمحافظة على هذه
الصلاة، وأن يصلح أولادنا، وأن يجعلنا وإياهم من المقيمين
الصلاة.

(٤) برقم (٢٨٩)، وصحح إسناده الألباني في تخريج «المشكاة» (١/٣٩٠).